The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
E-ISSN: 2959-4820
Volume 4, Issue 1, 2026
Page No: 88-94
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2024: 5.49 **معامل التأثير العربي (AIF) 2025: 0.69** **ISI 2024: 0.696**

The Dervish Jihad in Somalia against European Colonialism (1899–1920): Was It a Sufi Religious Movement or a Jihadist Resistance Movement"?

Fatimah Ali Salem Khalafullah*
University, Bani Waleed, Libya. Department of History, Faculty of Arts, Bani Waleed

جهاد الدراويش في الصومال ضد الاستعمار الأوروبي (1899-1920م): هل كانت حركة دينية/صوفية أم جهادية؟

فاطمة علي سالم خلف الله*
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بني وليد، ليبيا

*Corresponding author: fatimasalem@bwu.edu.ly

Received: December 15, 2025	Accepted: January 15, 2026	Published: February 06, 2026

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This paper examines the Dervish Movement in Somalia (1899–1920) within the context of European colonial expansion, focusing on the central question of whether the movement should be understood primarily as a Sufi religious reform movement or as an armed jihadist resistance. By situating the Dervish struggle within Somali religious traditions, particularly the Salihiyya Sufi order, the paper also explores the ideological foundations, leadership structures, and mobilization strategies employed by Sayyid Maxamed Cabdulle Xasan and his followers, drawing on recent historiography. Furthermore, the study concludes that the Dervish Movement cannot be confined to a single category. Rather, it represented a complex synthesis of Sufi religious authority, Islamic concepts of jihad, and anti-colonial political resistance. The movement's religious discourse provided moral legitimacy and social cohesion, while armed struggle emerged as a response to foreign domination and local political fragmentation. By reassessing the Dervish Movement through a multidisciplinary lens and comparing it with other Sufi and jihadist movements in Africa, this paper contributes to broader debates on religion, violence, and resistance in colonial Africa, challenging simplistic and superficial distinctions between "religious" and "jihadist" movements in modern and contemporary history.

Keywords: Dervish Movement, Somalia, European colonial, Sufi movement, Jihadist movement.

الملخص:
تفحص هذا الورقة البحثية حركة الدراويش في الصومال (1899–1920) في سياق التوسع الاستعماري الأوروبي، مع التركيز على السؤال المركزي حول ما إذا كان ينبغي فهم الحركة أساسًا كحركة إصلاح ديني صوفي أو كمقاومة جهادية مسلحة، من خلال وضع صراع الدراويش ضمن التقاليد الدينية الصومالية، وبالأخص الطريقة الصالحية الصوفية. كما تستكشف الورقة الأسس الأيديولوجية، والهياكل القيادية، واستراتيجيات التعبئة التي اعتمدها السيد محمد عبد الله حسن وأتباعه بالاستناد إلى الدراسات التاريخية الحديثة. فوق ذلك، تستنتج الورقة أن حركة الدراويش لا يمكن حصرها في تصنيف واحد وحسب، بل مثلت مزيجًا معقدًا من السلطة الدينية الصوفية، ومفاهيم الجهاد الإسلامي، والمقاومة السياسية المناهضة للاستعمار، فقد وفّر الخطاب الديني للحركة الشرعية الأخلاقية والتماسك الاجتماعي، بينما ظهرت المقاومة

المسلحة كرد فعل على الاحتلال الأجنبي والانقسامات السياسية المحلية. هذا، ومن خلال إعادة تقييم حركة الدراويش بمنهج متعدد التخصصات، ومن خلال مقارنتها مع حركات صوفية وجهادية أخرى في القارة الأفريقية، تسهم هذه الورقة في النقاشات الأوسع حول الدين، والعنف، والمقاومة في أفريقيا الاستعمارية، متحدية التمييز البسيط والسطحي بين الحركات "الدينية" و"الجهادية" في التاريخ الحديث والمعاصر.

الكلمات المفتاحية: حركة الدراويش، الصومال، الاستعمار الأوروبي، حركة صوفية، حركة جهادية.

مقدمة:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تتبع حركة الجهاد التي قادها الشيخ محمد وأتباعه - الذين أطلق عليهم اصطلاحا لقب الدراويش - في الصومال، انطلاقاً من الفكرة البدهية التالية: إن حركة الشيخ محمد كانت امتدادا حركة صوفية في الأساس، تم تطورت لتغذوا حركة للجهاد ضد الاستعمار الأوروبي والحبشي في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وقد استندت هذه الحركة على جوانب جيوسياسية، وجيوثقافية. وهنا نشير بمصطلح الجيوسياسية أساساً إلى موقع المنطقة الجغرافي، والتيارات السياسية التي مرت به، فالمنطقة –الصومال– كانت منذ القدم محطة للتفاعل الحضاري بين شعوب الشرق، وإفريقيا، وأوروبا. بينما يختزل المصطلح الجيوثقافي مفاهيم تتعلق بالحركات الصوفية، وبالناس الذين كانوا بشكل أو بأخر ينتمون لها. والصومال كما هو معروف تاريخيا، قد تأثر بالحركات السياسية والاجتماعية، والتي أخذت بعدا صوفياً مثل الحركة الوهابية، والحركة المهدية، والحركة السنوسية.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من تناولها لإحدى أبرز حركات المقاومة الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي، وهي حركة الجهاد التي قادها الشيخ محمد عبد الله حسن ضد الاستعمار البريطاني وحلفائه، والتي مثّلت نموذجًا لتداخل البعد الديني الصوفي مع البعدين السياسي والعسكري. كما تسهم الدراسة في إبراز دور الطريقة الصالحية في تشكيل الوعي الجهادي، وتسليط الضوء على شخصية الشيخ محمد عبد الله حسن بوصفه قائدًا دينيًا وعسكريًا وأسهم في توحيد المجتمع الصومالي في مواجهة التغلغل الاستعماري، إضافة إلى سد النقص في الدراسات العربية المتعلقة بتاريخ الصومال الحديث.

إشكالية الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسة تتمحور حول طبيعة حركة الشيخ محمد عبد الله حسن وأبعادها، وذلك من خلال التساؤل الآتي: إلى أي مدى كانت هذه الحركة حركة صوفية إصلاحية، وإلى أي حد تحولت إلى حركة جهادية ذات أبعاد سياسية وعسكرية في مواجهة الاستعمار البريطاني وحلفائه؟ ويتفرع عن ذلك عدد من الأسئلة الفرعية المرتبطة بالعوامل الديني، والجيوسياسية، وأسباب القوة والضعف.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهجية متعددة التخصصات تقوم على الدمج بين المنهج التاريخي التحليلي لتتبع نشأة حركة الشيخ محمد عبد الله حسن ومراحل تطورها المختلفة، مع توظيف المنهج الوصفي في عرض الوقائع التاريخية، والمنهج التحليلي في تفسير الأحداث ونتائج الصدامات العسكرية، إضافة إلى الاستفادة من المنهج المقارن عند الربط بين هذه الحركة وبعض الحركات الإسلامية المعاصرة لها.

وسيتم ذلك، وفقاً للمحورين التاليين:

- الخلفية التاريخية لحركة الشيخ محمد ضد الاستعمار الأوروبي.
- مراحل حركة الجهاد، والنتائج المترتبة عليها.

1. الخلفية التاريخية لحركة الشيخ محمد ضد الاستعمار الأوروبي:

بداية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي دخل الصومال ضمن دائرة اهتمام القوى الاستعمارية الأوروبية بريطانيا وفرنسا، واللتين كانتا ترميان إلى تحقيق أهداف متباينة وبعيدة المدى، فمن جهة، كانت بريطانيا تسعى عبر شركة أفريقيا البريطانية إلى دعم سيطرتها على الهند، وباقي المناطق في شرق أسيا، بتأسيس عدد من المستوطنات في الساحل الشرقي لأفريقيا (صلاح الدين حافظ، 1982، ص45). بينما عملت فرنسا على إقامة محميات تجارية، تتيح لها التواجد بصفة مستمرة في المنطقة ذاتها، والذي كانت في الواقع، تحتل موقعاً استراتيجياً متميزاً.

ومن جانب ثان، كان لإيطاليا مطامح ايضا في التوسع في المنطقة، وقد تمكنت بالفعل في عام 1888 م من السيطرة على مدن برافا، ومركة، ومقديشو، ووارشيخ، فضلاً على ذلك، امتد النفوذ الإيطالي ليشمل مدن أوبيا، وصومالي ماجيرتين الواقعتين في الشمال. (حسين مؤنس، 1987، ص ص98–95).

في الواقع، لم يك نطاق الصراع الاستيطاني والاستعماري محصورا بين الدول الأوروبية الثلاث فحسب، بل أمتد ليشمل كذلك الحبشة - أثيوبيا، فقد جاء التوسع الحبشي في الأرضي الصومالية في شكله العام كردة فعل دفاعي تجاه التوسع الأوروبي (عبدي عوالة،1978، ص64). فالمصادر التاريخية تطالعنا بأن الإمبراطور الأثيوبي منيليك حاول أن يحافظ على منطلق نفوذه في المرتفعات الحبشية عن طريق التوسع أيضاً في المناطق المحيطة به، هذا العمل كان موجها أيضاً إلى إعاقة الامتداد الأوروبي في المنطقة (صلاح الدين حافظ،1982، 43).

في ظل هذه التطورات، والتغيرات ولد محمد عبد الله حسن في حدود عام 1856 م في قرية فوب فردوت الصومالية، وتلقى تعليمه على يد علماء الأوجادين، حيث حفظ القرآن الكريم، واستطاع أن يلم ببعض المفاهيم الأساسية في العلوم

الرياضية والفلكية. ثم انتقل إلى مدينة مقديشو (عيدروس بن الشريف، (د- ت)، ص54)، حيث سعى إلى توسيع مداركه بتلقي الدروس في علمي التفسير، والشريعة على يد أكبر علماء المدينة. بشكل عام، لقد عاش محمد في زمن صار فيه الصومال معقلاً للعديد من الطرق الصوفية مثل القادرية؛ الدندراوتية؛ الأحمدية؛ الرفاعية؛ وكذا الطريقة الصالحية والتي اصبحت الطريقة الرئيسة، والأوسع انتشاراً بين الأهالي في الصومال (عبد الرحمن الزيلعي، 2018، ص 35).

لقد بدأ محمد بن الحسن في تلقي تعاليم الطريقة الصالحية عام 1895 م، وهو نفس العام الذي شهد قيامه برحلة حج إلى مكة المكرمة، هناك التقى بالشيخ محمد بن صالح الراشدي، وتعلم على يده مبادئ الطريقة الصالحية، وصار من أبرز دعاتها. فضلاً على ذلك، تمكن ومن خلال رحلته هذه، وغيرها من الاتصال بالحركات الفكرية والإصلاحية التي كانت سائدة في المناطق المجاورة، مثل الحركة العرابية، والمهدية... وغيرها، والتي كانت سببا مباشراً في بروزه كداعية إسلامي، وقائداً لحركة الجهاد ضد المستعمرين الأوروبيين والأحباش. (عبد الرحمن الرافعي، 1975، ص 214–210).

مباشرة وبعد عودته من رحلة الحج أنشأ محمد زاوية في ميناء بربرة لتعاليم مبادئ الطريقة الصالحية بين الناس، وهنا أجتمع حوله الكثير من الأتباع، وصارت هذه الطريقة تجد رواجاً بين الناس. ويعود ذلك إلى فطنة وذكاء الشيخ محمد، وقدرته على الإقناع. فضلاً على تنامي الوعي القومي، وضرورة محاربة الغزو الأجنبي والذي أصبح يشكل خطرا حقيقيا على البلاد وأهلها، وظهرت الحركة بشكل أكثر قوة وتنظيم مع بداية الغزو الأجنبي تحت قيادته (عبد الرحمن باديو، 2019، ص99).

2. **مراحل حركة الجهاد، والنتائج المترتبة عليها:**

إن المتمعن في المصادر التاريخية يخلص بأن الخطوات التي أتخذها محمد في حركته هذه، قد تمت عبر محورين أثنين: الأول: حمل الصبغة الدينية، وكانت يهدف لنشر مبادئ الطريقة الصالحية، والثاني: حمل الطابع العسكري والجهاد الحربي ضد القوى الاستعمارية والتي لم تكتف بمحاولة بسط سيطرتها على الأراضي الصومالية، وتقسيمها (عبد الصبور مرزوق،٢٠١٧، ص ٢٥). بل هدفت أيضا إلى نشر الديانة المسيحية، وبناء الكنائس، في محاولة لأنهاء الوجود الإسلامي في الصومال، وباقي المناطق في شمال شرق إفريقيا (عبد الرحمن الرافعي، ص ص 221-218).

لقد قام السيد محمد بدعوة أنصاره إلى الجهاد ضد الأحباش في عام 1899 م، عندما وصل بعض الجنود الأحباش من مدينة هرر إلى مدينة جكجكة الصومالية، ليفرضوا اتاوة على سكانها بعد أن قاموا بنهب المنازل، والمساجد وغيرها (أحمد صور، (د- ت)، ص 63). عندها، قام الشيخ حسن وأتباعه بشن هجوم مضاد ضد الأحباش، استطاعوا هزيمتهم، وردعهم. وكان لهذه المعركة نتائج بعيد المدى، فمن جانب كانت أول ضربة قاسمة للقوات الأحباش من قبل السكان المحليين في الصومال، ومن جانب ثان، تشكل تحالف بين الإمبراطور منليك، والبريطانيين هدفه ضرب تلك الحركة الناشئة قبل أن تتطور، وتمتد لتشكل خطرا على مصالحهم الاقتصادية، والاستراتيجية (حمدي السيد سالم، 1982، ص ص 126-130).

علاوة على ذلك، عمل الشيخ محمد على تعبئة الشعور العام ضد المستعمر الأجنبي، وتوحيد صفوف المجاهدين الصوماليين تحت راية، وقيادة واحدة. كما حث زعماء القبائل إلى الاشتراك في الدفاع عن أرض الوطن، وحمايته من المبشرين (نجم عبد الأمير الانباري، (د-ت)، ص 54). وناشد العلماء، والشيوخ بالقيام بدعوة الناس إلى الجهاد المقدس، ومحاربة الأجنبي. هنا وجد الشيخ محمد نفسه في مجابهة الزعامات القبلية، والتي أضحت تنظر إليه على اعتباره منافسا لها في الحكم، طبقا لهذا، عمل الشيخ على أن ينظم جبهته الداخلية، بالتزامن مع الجبهة الخارجية، وأن يعمل على جمع المزيد من الأنصار الذين يؤمنون بقضية الجهاد (عبد الصبور، (د-ت)، ص56)، **وتم كل ذلك وفق الخطة العسكرية التالية:**

- تنظيم الجيش وتدريبه على أحدث الطرق في القتال الفردي، والجماعي.
- جعل الصفوة الممتازة من أبناء القبائل الموالية له في طليعة الفرسان المحاربين.
- الاعتماد على التجار العرب في توريد الأسلحة عبر موانى بربره، وزيلع إلى معسكرات الجيش الصومالي.
- بناء مخازن ومستودعات سرية في مغارات الجبال، لا يعرف مواقعها غير الجنود المسؤولين عنها.
- الاعتماد على بعض الحكام، وزعماء القبائل الذين وعوده بتقديم دعم مالي، ولوجستي.
- الاهتمام ببناء القلاع، والحصون، كمواقع حصينة ترابط فيها قواته، وتنطلق من خلالها في تنفيذ العمليات العسكرية.
- توزيع صهاريج المياه على نطاقات واسعة.
- التنبيه على القائمين بالأعمال الزراعية بمضاعفة الانتاج لسد حاجة المقاتلين، وتوفير المؤنة اللازمة وقت الحاجة.
- إرسال الوفود إلى البلاد العربية من أجل جمع السلاح، وجلب المساعدات الطبية، وغيرها.

بناءًا على كل ما تقدم، وبفضل ذكائه، وخبرته التي تراكمت عبر رحلاته الطويلة إلى البعض من حواضر العالم العربي، والإسلامي، تمكن الشيخ حسن من أن ينجح في تكوين اللبنات الأولى للحركة الصوفية الصالحية. والتي انتقلت من كونها كذلك، إلى حركة للجهاد ضد الاستعمار البريطاني، والذين أصبح الصوماليون ينظرون إليهم على كونهم محتلين، ومغتصبين. وبات لازما عليهم أن يحاربوهم، ويقضوا عليهم، ومن هنا، تبلورت فكرة الجهاد في حركة الشيخ محمد ضد البريطانيين والأحباش (عبد الصبور، (د-ت)، ص 66).

كان اول صدام حقيقي بين فرقة الدراويش، وبين القوات البريطانية قد تم فعليا في عام 1901م، عندما اعلنت بريطانيا عن إرسال سلسلة من الحملات العسكرية إلى مدينة أفكيلي بقيادة الكولونيل سواين (حمدي السيد، (د-ت)، ص 124). تزامن ذلك مع قيام الأحباس بتجريد حملة قوامه خمسة عشر ألف جندي بقيادة الجابري، وكانت تهدف أساساً إلى قطع

خطوط الإمدادات عن فرقة الدراويش، كما تم تكليف إيطاليا بالضغط على سلطان ميجرتين لمنع وصول أي مساعدات للصوماليين (محمد بن موسي، 2009، ص 36).

وفي هذه الأثناء علم الشيخ محمد بتحركات الجيش الإنجليزي، فترك مدينة أفبكيلي، هو وجنوده ليلاً، وقام بمهاجمة القوات البريطانية في صباح اليوم التالي، وانتهت هذه المعركة بهزيمة البريطانيين، وتكبدهم خسائر فادحة، وقد أطلق الشيخ محمد وقواته على هذه المعركة اسم معركة بهر طيغ أو حوض الدم، وذلك لكثرة الدماء البريطانية التي سالت في المعركة (عبدالله عبد الرزاق، 1998، ص201).

قام سواين في مايو من عام 1902 م، ومعه قوة احتياطية من القوات الملكية الإفريقية بقيادة الكابتن أسبورن، بالتحرك جنوبا إلى بوهوتلي، وأقام عدداً من الحصون، ومواقع الإمداد، وأستقر في مدينة اريجو شمال منطقة مدق. وفي يوليو من عام 1902 قامت القوات البريطانية بهجوم شرس على موقع جيروري، بهدف القضاء نهائياً على قوات الدراويش، وإنهاء وجودها في الساحل، ومع نهاية أغسطس وصلت القوات البريطانية إلى جاعولو (حجاج محمد، (د- ت)، ص48) .

وعلى الرغم من أن قوات الدارويش قد وقعت في اشتباكين في الوقت ذاته مع قوات على يوسف سلطان هوبيا، والذي تحصل على مساعدة من سواين، والتي تمكنت من القيام بهجوم أخر مضاد، إلا أن هذه الجولة قد انتهت لصالح الدراويش أيضاً (عبد الصبور مرزوق، (د-ت)، ص 41).

بعد ذلك، قامت بريطانيا بتجريد حملة ثالثة ضد قوات الدراويش بقيادة الجنرال ماننج، وقد رأت بريطانيا أنه من الأفضل لها أن تستعين بإيطاليا، والتي كان لها دور فعال في اقناع الملك منليك الحبشي، بالقيام بقطع الطريق أم الدراويش إذا ما قرروا الإنسحاب غربا. وبالفعل قام منليك بإرسال خمسة آلاف جندي تحت قيادة بريطانية حبشية مشتركة، وكانت الخطة البريطانية تهدف إلى احتلال واحة مدق، وأن يبسط الجيش الحبشي سيطرته على وادي نوج فافان، لكي يتم قطع الطريق إلى المحمية الإيطالية. والتقى الجانبان في موقع جاعولو في مارس عام 1903 م، وتمكن الشيخ محمد أثر معركة جمبورو هل من إلحاق الهزيمة مرة أخرى بالقوات البريطانية وحليفتها الحبشية.

في الواقع ثمة معارك أخرى دارت رحاها بين قوات الدارويش والقوات البريطانية في درتوله، ومع القوات الحبشية في بورهيلي، كانت كلها تشكل جزءًا من الحملة البريطانية الثالثة ضد قوات الشيخ محمد، والتي أل أمرها، كما سابقتيها بهزيمة القوات البريطانية، وكذا الحبشية (عبد الصبور، (د-ت)، ص 41).

هذا، ومن ناحية جيو-عسكرية، يبدو وأن الهزائم المتتالية للقوات البريطانية، لم تردعها عن مواصلة هدفها في القضاء على قوات الدراويش، فأرسلت حملة رابعة بقيادة الجنرال إيجرتون، والذي وضع تكتيكاً عسكرياً، تركز حول السيطرة على أبار المياه الواقعة في المنطقة الممتدة من هوبيا إلى جرلوجوبي (عثمان السبي، 1920، ص29)، مع العمل على قطع كل المسالك التي كان سيستخدمها السيخ محمد وقواته، إذا ما أجبروا على الانسحاب ميجرتين شرقاً، أو أوجادين غرباً. فضلاً على ذلك، أسهم الدعم الذي تحصلت عليه القوات البريطانية من الملك منليك، غداة معركة جدبالة في ديسمبر من عام 1903م، أسهم في ترجيح كفة البريطانيين، والذين تمكنوا من هزيمة الشيخ محمد، ولكن، دونما أن يؤذي ذلك إلى إنهاء وجوده، الأمر الذي دفع ببريطانيا إلى عقد هدنة معه بوساطة من إيطاليا في سبتمبر عام 1904 م (عبد الصبور، (د-ت)، ص 67).

بعد ذلك، يمكن تسجيل العديد من المتناقضات في سياق موضوع حركة الجهاد التي قادها الدراويش ضد الاستعمار البريطاني. من جهة يمكن ملاحظة أن الأوضاع بدأت –بشكل ما- تتحول تدريجياً لصالح البريطانيين وتعزز من تواجدهم في المنطقة، ومن جهة أخرى تمكن الشيخ محمد زعيم الدراويش من تحقيق عدد من المكاسب. على سبيل المثال... تمكن بستالوزا من عقد اتفاق مع الشيخ محمد، تضمن الاعتراف به كحاكم محلي مستقل، وبحرية التجارة بينه وبين حكام المناطق المجاورة، باستثناء تجارة السلاح، ونصت أيضا على أن يمارس هو وقومه طقوسهم الدينية بحرية كاملة.

ومهما كان من أمر، فإن الشيخ محمد، قد نجح في تحقيق بعضاً من مطالبه، وتمكن من تحقيق السلام مع الحبشة وإيطاليا وبريطانيا طبقاً لشروطه. كما أنه نجح في تحقيق مكاسب اقتصادية على درجة من الأهمية، فبفضل استقراره في المنطقة الواقعة بين الميجرتين وهوبيا في الجنوب، فإن اتباعه قد تحصلوا على منطقة لرعي قطعانهم داخل المحمية بين أبار حالين، وهودين، وتوجال، وتوناد.

مكاسب أخرى متنوعة، قد تم جنيها أيضا، ضمت استعادة الدراويش لقوتهم السابقة، بفعل الهدنة والسلام التي تم بينها وبين الحكومات الأوروبية، فقد تمكن الشيخ محمد من إعادة تنظيم ترسانته الحربية، والبشرية كذلك. كما أن أنصاره قد تمكنوا من ممارسة الزراعة المستقرة، بدلا من التنقل لرعي قطعانهم، وغيرها.

أمام كل هذا، وسعيا منها من أجل إصلاح موقفها في الصومال، دخلت بريطانيا في عدد من الاتفاقيات الدولية على نطاق واسع، بهدف إيجاد شركاء أقوياء لها في خطتها الهادفة إلى للقضاء على قوات الشيخ محمد. تجلى هذا المطلب في تلك الاتفاقية عقدتها بريطانيا في عام 1905 م، والتي نصت على الاعتراف بمحمية الصومال الإيطالي كحقيقة واقعة، مقابل أن تعترف إيطاليا بالمحمية البريطانية في الصومال وكينيا. وفي الوقت ذاته، تتعهد الدولتان بالعمل على القضاء سويا على الشيخ محمد وإنهاء حكمه. والسؤال هنا، **ماهي الدوافع الرئيسة لعقد إيطاليا لهذا التحالف؟**

على كل، ومن خلال مطالعة المصادر التاريخية، **يبدوا أن إيطاليا قد هدفت من خلال هذا التحالف إلى تحقيق ثلاثة مطالب رئيسة، وهي:**

1. القضاء على حركة الجهاد الإسلامي، ومنع امتدادها إلى المناطق التي تقع تحت سيطرتها.

2. العمل على تقوية دفاعاتها، وتأمين حدودها، وتنفيذ خطتها في السيطرة على كل أرض الصومال.
3. خلق جدار حماية ضد قوات الدراويش، في حال انسحبت القوات البريطانية، فحينذاك ستجد نفسها في مجابهة حقيقية مع قوات الدراويش، والتي ستصبح بطبيعة الحال ذات قوة لا يستهان بها.

هذه البنود، تميزت بكونها مرنة للغاية، وتحوي أبعادا عنصرية، وإيديولوجية، فإيطاليا كانت تماماً مثلما هو حال بريطانيا، تسعى إلى السيطرة المطلقة على الساحل الشرقي لأفريقيا، ودون النظر إلى مصالح السكان المحليين. تزامن كل ذلك، مع قيام بريطانيا، بالعمل على تكوين جماعات من المليشيات العسكرية مكونة من الصوماليين أنفسهم، بهدف نشر الفرقة بينهم، فضلاً عن إثارتها للعامل القبلي، والذي كان سببا مباشراً في إنهاء مسيرة الجهاد الإسلامي الذي قاده الشيخ محمد.

فوق ذلك، تستنتج الباحثة بأن للقوى الغربية كان لها دور فاعل في كل الحملات الدعائية، والتي قاد معظمها رجال الدين، ضد الشيخ محمد، الأمر الذي أدي الى تبني مواقف متباينة في حقه، أما أن يعزله اتباعه، أو يقتلوه. وفي المقابل، كان الشيخ محمد، قد أرتكب غلطتين، الأولى: كانت بأن اتخذ منطقة نفال الواقعة على البحر كموقع لإقامته هو واتباعه، وبالتالي أصبح مكشوفا أمام ضربات أعدائه، ومن الناحية العملية، فالمنطقة غير ملائمة للقيام بهجمات الكر والفر. والغلطة الثانية، ارتبط وبحسب ما يعتقد بعض الباحثين، بالدعوة الصلاحية نفسها، فالبعض من زعماء العشائر كانوا يرون بأن دعوة الشيخ محمد لهم للجهاد كانت على أساس مذهبي، وأغلبهم كان معتنقا لمبادئ الطريقة القادرية، أكثر من كونها دعوة على أساس الانتماء للقومية الصومالية.

وبالرغم من ذلك، فقد استطاع الشيخ محمد أن يقاتل البريطانيين لمدة عشرين عاما، محققا في ذلك عدة انتصارات حاسمة. لعل أهمها كان القضاء على قوة شرطة الهجانة (والتي كانت تستخدم الجمال) في عام 1913 م، الأمر الذي جعل البريطانيين ينسحبون، ويعيدون تمركز قواتهم. إلى أن تمكنوا من القضاء عليه في إيمي بأثيوبيا في عام 1920 م.

إذن، ومن خلال ما تم عرضه من معلومات، يمكن أن نستنتج بأن حركة الشيخ محمد في الصومال كانت حركة صوفية تهدف إلى العودة بالإسلام إلى نقائه، ومفاهيمه الصارمة. تم تطورت وأصبحت حركة جهادية، ذات أبعاد سياسية. وهنا يمكن أن نربط المراحل التي مرت بها هذه الحركة بالمراحل التي مرت بها الحركتين الوهابية، والمهدية.

وفي السياق ذاته، أسهمت البيئة الجغرافية، ومواقع الإقامة البشرية في تحديد أليات عمل هذه الحركة، فمن جانب انتشرت في مناطق متنوعة ما بين الساحل والجبل، كما أنها انتشرت بين مختلف الفئات الاجتماعية الفلاحين، والتجار، والرعاة. والأهم من ذلك، أنها أدت دورا رئيسا في كل الحركات التي شهدتها الصومال بوجه خاص، ومنطقة شمال شرق إفريقيا بوجه عام في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

مقارنة حركة الدراويش الصومالية بحركات صوفية إفريقية معاصرة:

حقيقة لا يمكن فهم حركة الدراويش الصومالية بمعزل عن السياق العام للحركات الصوفية الإصلاحية التي شهدتها إفريقيا في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث مثّلت تلك الحركات استجابة دينية وسياسية مباشرة للتغلغل الاستعماري الأوروبي، ولحالة التفكك الداخلي التي عانت منها المجتمعات الإسلامية آنذاك. وفي هذا الإطار، تبرز أوجه تشابه واختلاف بين حركة الدراويش وبعض الحركات الصوفية الإفريقية المعاصرة لها، وعلى رأسها الطريقة السنوسية في ليبيا، والحركة المهدية في السودان.

حركة الدراويش في الصومال والطريقة السنوسية في ليبيا:

تُعدّ كلٌّ من طريقة الدراويش الصومالية بقيادة الشيخ محمد عبد الله حسن، والطريقة السنوسية في ليبيا، من أبرز الطرق الصوفية الإصلاحية التي تحوّلت إلى حركات مقاومة مسلحة ضد التغلغل الاستعماري الأوروبي في إفريقيا خلال أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وقد اشتركت الحركتان في عدد من السمات العامة، مع اختلافات واضحة في الأسلوب، والتنظيم، والخطاب.

ثمة العديد من نقاط التشابه التي تشترك فيها طريقة الدراويش والطريقة السنوسية، لعل أهمها هي أنهما يشتركان في كونهما حركتين صوفيتين إصلاحيتين انطلقتا من داخل البنية الدينية للمجتمع، وسعتا إلى تنقية الممارسات الدينية مما اعتبرتاه بدعًا وانحرافات، كما اعتمدتا على الزوايا الصوفية باعتبارها مراكز للتعبئة الدينية والتنظيم الاجتماعي، **وهو ما منح الحركتين قدرة على الانتشار والتأثير في البيئات القبلية الواسعة (محمد شكري، 1948، ص ص 11- 40):**

بيد أن الاختلاف بين الحركتين يتجلى في **طبيعة الخطاب السياسي، وآليات التعامل مع الواقع الاجتماعي**، فقد اتسم خطاب حركة الدراويش بدرجة أعلى من الحدة والصدام، سواء في مواجهتها للقوى الاستعمارية أو في علاقتها ببعض القبائل والطرق الصوفية المحلية التي رأت فيها نوعًا من التراخي أو المهادنة. في المقابل، انتهجت الطريقة السنوسية، خاصة في مراحلها الأولى، سياسة أكثر مرونة، سعت من خلالها إلى الحفاظ على توازن دقيق بين المقاومة المسلحة، وبناء التحالفات القبلية، وإدارة المجال الاجتماعي دون الدخول في صدامات داخلية واسعة (أحمد الدجاني، 1967، ص ص 28-29).

يمكن لنا تفسير أسباب هذا الاختلاف إلى تباين البيئتين الجغرافيتين والسياسيتين؛ فبينما عملت السنوسية في فضاء صحراوي مفتوح نسبيًا مكّنها من بناء شبكة علاقات ممتدة، وجدت حركة الدراويش نفسها في بيئة أكثر تعقيدًا قبليًا، وأشد اختراقًا استعماريًا، الأمر الذي دفعها إلى تبني خطاب تعبوي أكثر صرامة (الرافعي، 1975، ص ص 210- 218).

حركة الدراويش والحركة المهدية في السودان:

تتقاطع حركة الدراويش مع الحركة المهدية في السودان في اعتماد كلتيهما على البعد الديني التعبوي، وفي سعيهما إلى إقامة كيان سياسي ذي مرجعية دينية، إضافة إلى خوض مقاومة شاملة ضد القوى الاستعمارية. وقد نجحت الحركتان، في فترات مختلفة، في تعبئة قطاعات واسعة من المجتمع، وتحويل الخطاب الديني إلى أداة فاعلة للحشد والمواجهة (الرافعي، 1975، ص ص 185- 194).

ورغم ذلك يبرز اختلاف جوهري بين الحركتين يتمثل في **المرجعية العقائدية والفكرية**؛ إذ قامت الحركة المهدية على فكرة المهدي المنتظر، التي منحت قائدها شرعية دينية استثنائية، وأسهمت في تسريع وتيرة الالتفاف الشعبي حوله. أما حركة الدراويش، فلم تعتمد على فكرة مهدوية، بل ارتكزت على خطاب إصلاحي صوفي، يدعو إلى الالتزام الديني، والجهاد ضد الاحتلال، دون ادعاء مكانة دينية خارقة أو استثنائية (مؤنس، 1987، ص ص 133-140).

حركة الدراويش والطرق الصوفية الصومالية الأخرى:

يمكن ملاحظة وجود الكثير من نقاط الاختلاف بين طريقة الدراويش والطرق الصوفية الأخرى في الصومال، والتي كان لها تأثير كبير على الدراويش بخاصة على الصعيد الداخلي، حيث دخل الدراويش في خلافات متعددة مع بعض الطرق الصوفية الصومالية، وعلى رأسها الطريقة القادرية، وهي الأوسع انتشارًا، إضافة إلى بعض فروع الطريقة الأحمدية غير الصالحية. وقد تعددت أسباب هذا الخلاف بين أبعاد دينية، وسياسية، واجتماعية (حجاج، (د-ت)، ص ص 47- 52).

من الناحية الدينية، انتقدت حركة الدراويش بعض الممارسات الصوفية التي رأت فيها انحرافًا عن مقاصد الشريعة، أو مظاهر للبدع والتراخي الديني. أما سياسيًا، فقد اتهمت بعض شيوخ الطرق الأخرى بمهادنة القوى الاستعمارية، أو القبول بالتعايش معها، وهو ما اعتبرته الحركة إخلالًا بواجب الجهاد. وعلى المستوى الاجتماعي، سعت حركة الدراويش إلى تقليص أثر الولاءات القبلية التقليدية، والعمل على بناء ولاء ديني يتجاوز الانتماء العشائري، الأمر الذي أثار تحفظات واسعة داخل المجتمع الصومالي (مؤنس، 1987، ص ص 141- 145).

وقد أسفرت هذه الخلافات عن صدامات داخلية، وانقسامات اجتماعية واضحة، استغلتها القوى الاستعمارية لإضعاف الحركة، وتقويض وحدتها الداخلية. ومع ذلك، فإن هذه الصراعات تعكس في جوهرها تعقيد المشهد الديني والاجتماعي في الصومال، وتبرز طبيعة التحديات التي واجهت الحركات الإصلاحية الصوفية في محاولتها الجمع بين الدعوة الدينية، والعمل السياسي، والمقاومة المسلحة. (صلاح الدين، 1978، ص ص 55- 62).

الخاتمة:

توصل هذه الورقة البحثية إلى أن حركة الدراويش في الصومال كانت في جوهرها حركة صوفية إصلاحية، مستمدة أطرها الفكرية والتنظيمية من الطريقة الصالحية، إلا أن التحولات التاريخية والسياسية التي فرضها الاستعمار أدت إلى خروجها عن الدور الروحي التقليدي لتصبح حركة مقاومة سياسية وعسكرية. هذا التداخل بين البعد الديني والسياسي يجعل من حركة الدراويش نموذجًا فريدًا لدراسة العلاقة بين التصوف والمقاومة الوطنية، ويجيب على إشكالية البحث المتعلقة بمدى كونها حركة صوفية خالصة أو ظاهرة مركّبة متعددة الأبعاد

كما أظهرت الورقة أن خلافها مع بعض الطرق الصوفية الأخرى لم يكن مجرد صراع ديني، بل كان انعكاسًا لصراعات سياسية واجتماعية أوسع، وهو ما ساهم في تشكيل هوية وطنية صومالية مبكرة مبنية على الدين والمقاومة في الوقت نفسه. وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن حركة الدراويش أسست لمعيار جديد في فهم الحركات الدينية المسلحة، حيث يتلاقى الإصلاح الديني بالمشروع السياسي، ويصبح الجهاد أداة للحفاظ على الهوية الوطنية ضد التدخلات الخارجية.

وبالتالي، فإن دراسة حركة الدراويش لا تقتصر على مجرد تحليل تاريخي، بل تمتد لتكون قاعدة لفهم الدين والسياسة في إفريقيا الإسلامية، ودور الحركات الصوفية في مقاومة الاستعمار، وتأثيرها على تشكيل الوعي الوطني الحديث. فوق ذلك، تفتح حركة الدراويش آفاقًا مهمة لدراسات مستقبلية حول صلة الدين بالمقاومة والسياسة في سياقات حركات المقاومة الإفريقية، والإسلامية المعاصرة.

المراجع:

1. أبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1998.
2. أحمد صوار، الصومال الكبير، مطبوعات الدار القومية، القاهرة، (د-ت).
3. حسين مؤنس، الإسلام وحركات التحرر في إفريقيا، عالم الكتب، القاهرة،1987.
4. حمدي السيد سالم، الصومال قديما وحديثا، دار القومية للطباعة والنشر، مقديشو، 1982. ج 1.
5. صلاح الدين حافظ، صراع القوي العظمي حول القرن الافريقي، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978.
6. عبد الرحمن الرافعي، الحركات الإسلامية في إفريقيا، دار المعارف، القاهرة،1975.
7. عبد الرحمن شيخ محمود الزيلعي، الصومال عروبتها وحضارتها الإسلامية، دار قنديل، الامارات، 2018.
8. عبد الرحمن معلم عبد الله، تاريخ الصومال رؤية تحليلية جديدة، دار العلم الحديث، القاهرة، 2019.
9. عبد الصبور مرزوق، ثائر من الصومال " الملا محمد بن عبد الله حسين "، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 2017.

10. عبد الصبور مرزوق، جمهورية الصومال، مكتبة فلسطين، القدس، (د – ت).
11. عثمان صالح سبي، صراع القوي الدولية عل منطقة البحر الأحمر والقرن الافريقي عبر العصور، القاهرة، 1920.
12. عيدروس بن الشريف علي، بغية الامل في تاريخ الصومال، مطبعة السلام، القاهرة، (د- ت).
13. محمد فريد السيد حجاج، صفحات من تاريخ الصومال، دار معارف، القاهرة، (د –ت).
14. نجم عبد الأمير الانباري، مقاومة الشعب الصومالي للتحالف الصليبي الأوروبي الحبشي 1899- 1920"، في مجلة التراث العلمي العربي، مجلد 3، عدد 13، 2010، ص ص 47-72.